



الدليل العملي لرعاية ضحايا الصدمة

عدد 6

أهمية العلاج الابتكاري لضحايا العنف من الأطفال في سوريا

هنادج الشوا

عدد 6 - 2012

أهمية العلاج الابتكاري لضحايا العنف من الأطفال في سوريا

www.arabpsynet.com/Documents/TraumaHanadiCreativeTherapy.pdf

هنادي الشوا

ماجستير في علم الأمراض النفسية ودراسات التحليل النفسي

hanadi80@hotmail.fr



يكاد يُجمع كل المتخصصين في العلاج النفسي، أن الأزمة في سوريا ستترك آثاراً خطيرة على الجهاز النفسي للطفل السوري على وجه الخصوص، سواءً بوصفه شاهداً على حالة عنف، أو مستمعاً، أو نازحاً، أو الأخطر من هذا وذلك الأطفال الذين شهدوا ظاهرة الموت الجماعي، إن هؤلاء الأطفال تحديداً يشكلون تحدياً خطيراً للأخصائيين النفسيين والتربويين في سوريا.

أعلم جيداً أنني لن أستطيع أن أحصر في هذه المقالة كل الرضات التي يمكن أن يتعرض لها الجهاز النفسي للطفل جراء ما تعرض له من مشاهد صادمة خلال عام ونصف، ولكن حاولت أن أوجز بعضها بغية دراستها بشكل مفصل لاحقاً وتناولها بالتحليل لنتمكن من علاجها بشكل دقيق.

لاشك أن استجابات الأطفال من ضحايا العنف، لأسلوب العلاج تختلف بين أسلوب وآخر وهذا يعود لعوامل مختلفة منها خبرة الطفل بالموقف المشكل، نوع الخبرة الصادمة وشدتها، هل هي مباشرة أو غير مباشرة، خبرة المعالج بتطبيق العلاج، بيئة العلاج ومحفزاته. ولاني أعلم أن من الصعب جداً الإلمام بكل خصوصيات علاج الأطفال ضحايا العنف في سوريا بمقالة واحدة فسأحاول تناولها تباعاً، وسأركز في هذه المقالة على إحداها.

الخصوصية الأولى للتعامل مع الأطفال ضحايا العنف في سوريا، هي نوع الخبرة الصادمة وشدتها، وهذه ليست خاصة بالبيئة السورية بل إنها خصوصية موجودة في كل المجتمعات التي تشهد حالات مماثلة، وأحد أوجهها تتمثل في كون بعض الأطفال تعرضوا لصدمة فقد أحد أركان الأسرة، الأب أو الأم أو أحد الأخوة وهذا أيضاً بحد ذاته تدرج تحته عدة عوامل لا تقل أهمية عن الخبرة بحد ذاتها منها عمر الطفل، جنسه، كيفية معاينة حالة الفقد، هل شاهدها عبر الإعلام أم شاهدها بالفعل على أرض الواقع.

لاشك أن الحديث يطول حينما نتكلم عن الطفل فلكل تفصيل في الخبرة الصادمة أهمية لاتقل عن باقي التفاصيل، وهو في هذا شأنه شأن الراشد لا يمكننا أن نتجاوز أي تفصيل مهما بدا لنا بسيطاً، ولكن مع الطفل يغدو الأمر أكثر صعوبة بسبب صعوبة التواصل اللغوي أحياناً، وضعف قدرته على التكيف مع المعالج، وشدّة الخوف الناتج من كبت الخبرة

يكاد يُجمع كل

المتخصصين في العلاج النفسي، أن الأزمة في سوريا ستترك آثاراً خطيرة على الجهاز النفسي

للطفل السوري على وجه الخصوص

أن عودة المشاهد بشكل مفاجئ إلى ساحة الشعور قد تُدخله مجدداً إلى مرحلة لا تقل في أذاها عن مرحلة الصدمة عينها

بطريقة أشبه ما تكون بالكبت القهري إن جازت لنا تسميته، فالطفل هنا لا يقوم بكبت المشهد الصادم كما يفعل الراشد، بل أنه يبذل جهداً نفسياً وعصبياً وطاقته أكبر من الراشد، ولأن عودة المشهد بشكل مفاجئ إلى ساحة الشعور قد تدخله مجدداً إلى مرحلة لا تقل في أذاها عن مرحلة الصدمة عينها، نجد أن الطفل يتجنب كلياً محاكاة الموقف ويواجه المثيرات المتعلقة به بالانسحاب وهذا الانسحاب من المعلوم انه لا يعني بأن الموقف الصادم لم يعد ذا تأثير، بل على العكس يعني أنه في أوج إلحاحه على ساحة الشعور، لذلك فالتعامل مع الطفل هنا مرحلة دقيقة للغاية، ولهذا نجد تركيزاً من قبل غالبية مراكز العلاج النفسي للطفل تركيزاً على "العلاج الابتكاري" لما له من أهمية في تخليص الطفل من مشاعره وأحاسيسه الداخلية المكبوتة التي لا يستطيع التعبير عنها بالكلمات، أو لا يريد ذكرها أي يحاول إنكارها، ولكنها تبقى موجودة وتلح عليه وتظهر بصور أخرى جراء إزاحتها إلى موضوعات أخرى. ويعتبر العلاج بالرسم والرقص التعبيري والتمثيل من أهم أشكال العلاج الابتكاري التي تحقق هذه النتائج مجتمعة، أي التنفيس وتجاوز الخبرة المؤلمة، وتشكيل عادة جديدة للاستجابة على موقف مماثل.

ولذلك فإن الحرص وتوخي الحذر الشديدين أثناء تطبيق أي أسلوب علاجي مع الطفل لم ينشأ من فراغ وإنما من اجتماع الحاجة إلى تحقيق كل هذه الأهداف مجتمعة. على سبيل المثال لا الحصر، الطفل الذي رأى والده مكبلاً وقد تعرض لعنف جسدي من قبل الآخر، والطفل يشعر بضعف شديد يحول بينه وبين إنقاذ والده، سيكون مجال لبحث من عدة نواحي ليس آخرها الشعور بالنقص الذي قد يرافقه خلال سني مراهقته، وربما سيجعل منه في المستقبل شخصاً انسحابياً، لقناعته بعدم نفعه، وربما نتيجة ضغط هذه الحادثة المؤلمة بشكل مستمر لفترة طويلة قد يمهد لظهور استجابة جسدية مؤقتة تكون بمثابة ميكانيزم دفاعي لمواجهة تقريع الأنا الأعلى، وهذا كذا قد شاهدناه وسمعنا عنه في حالات الهستيريا التحولية لدى الأطفال والتي تمهد لها كما ذكرنا في البداية صعوبة التكيف والتعبير، لذلك فما لاشك فيه أن علاج هذه الحالة عبر أسلوب النموذج المتبع في "البيكودرام" يعتبر من أنجع الوسائل كونه يعلم الطفل الاستجابة المنطقية للحالة ومواجهة الموقف بدون إيذاء الذات وتقريعها وصب اللوم عليها، وتبني فكرة بديلة على سبيل المثال : بالفعل أنا طفل وليس بمقدوري فعل الكثير، لو كنت أكبر بالتأكيد كنت سأستطيع فعل شيء، وكنت سأمنعه، ويأتي هنا دور الوسط الجماعي في تجنبه لوم الذات واستشعار اليأس على نحو مغاير من قبيل : ليتني كنت رجلاً ولم أكن طفلاً، الخ...، ويعتبر التنفيس هنا أول خطوات العلاج، ووجود أطفال عانوا من نفس الخبرة سيغرس في نفسه الأمل بالأفضل وسيعزز ثقته بنفسه ويخلصه من شعور الذنب الذي يتعاطم خلال فترات العزلة ويتلاشى في الجو الاجتماعي، ومن ناحية أخرى سيتعود الطفل على الاستجابة بشكل متوازن على كل ماسيصادفه في حياته من مواقف مشابهة قد تحمل بين ثنيتها تفاصيل تبعث على اليأس، أي بالمحصلة سيتعلم الطفل أن المحاولة أول خطوات النجاح أما الهروب وتأنيب الذات والانسحاب سيحرمه من فرصة النجاح خلال مواجهة أي موقف مشكل في المستقبل.

يعتبر العلاج بالرسم
والرقص التعبيري
والتمثيل من أهم أشكال
العلاج الابتكاري

أن علاج هذه الحالة عبر
أسلوب النموذج المتبع
في "البيكودرام"
يعتبر من أبخع الوسائل
كونه يعلم الطفل
الاستجابة المنطقية للحالة
ومواجهة الموقف بدون
إيذاء الذات وتقريعها
وصب اللوم عليها

هل يمكننا الحديث

بنفس الأمل حينما نتكلم
عن طفل رآه جسد
أبيه أو أحد أقاربه وقد
قُطع بطريقة وحشية ؟
بالطبع لا ، فالسؤال هنا
لم يعد فقط سؤال
الفقد بحد ذاته بل
يتجاوزهُ إلى مفهوم
تفسيخ الجسد

هذا يتطلب منا جميعاً
عملاً جماعياً تخصصياً
يقوم بموجبه كل فرد
بفرد الفريق التطوعي
بمالديه من خبره في
هذه المجال وتبادل
الآراء حول أسلوب
العلاج وإغناء الأفكار

ما سيزيد المشهد خصوصية في ما لو كان هذا الطفل فتاة شديدة التعلق بوالدها وتعتبره
نموذجاً للرجل القوي والذي بوسعه أن يحقق لها كل ما تريد، فهي الطفلة التي تنافس أمها
على حب أبيها، وهي المرأة الطفلة التي يحبها والدها، سنتحدث هنا عن أوديب وضحايا
العنف في سوريا ضمن تحليل مختلف كلياً..... فالموقف هنا برمته يختلف فيما لو كان
طفلاً وبالتالي العلاج يختلف.

لاشك بأن معاينة الطفل لهكذا نوع من المشاهد يشكل بحد ذاته خطراً حقيقياً على
شخصيته فيما بعد ، ولايمكننا حصر التكهنات لما يمكن أن تؤول إليه حالته النفسية وانفعالاته
الوجدانية في حال تعرض لذات الموقف مستقبلاً.

نتحدث أيضاً بقلق عن فكرة الجسد المشوه وهي حالة جديدة عموماً على المجتمع
السوري، يتساءل البعض وهل يختلف مفهوم الموت من وجهة نظر الطفل، بالتأكيد إن الطفل
في مرحلة معينة يدرك تماماً ويعي فكرة الموت وبمساعدة الوطاء ، والأقران ، والتربويين
، سيتجاوز الحداد ، ويندمج من جديد في المجتمع ، وكثيرة هي الحالات عن أطفال فقدوا أحد
أو كلا والديهم ومروا بهذه التجربة دون رضات نفسية عميقة الأثر ، ولكن بالمقابل هل
يمكننا الحديث بنفس الأمل حينما نتكلم عن طفل رأى جسد أبيه أو أحد أقاربه وقد قُطع
بطريقة وحشية ؟ بالطبع لا ، فالسؤال هنا لم يعد فقط سؤال الفقد بحد ذاته بل يتجاوزهُ إلى
مفهوم تفسخ الجسد، والذي سيكون من الصعوبة بمكان على الجميع أن يجدوا له تفسيراً أمام
الطفل.

نعلم جميعاً أن الأمر هنا لا يقتصر على معاينة الطفل للحادثة مباشرة ، فقد يحدث أحياناً أن
تكون الأسرة مجتمعة تتابع إحدى القنوات الإخبارية ويمر مشهد لجثة مقطعة الأوصال أو
محتزقة ، ويراه الطفل، إنه موقف عنيف ومؤلم وسيترك أثراً عميقاً ، ولكن سيكون الأثر
أعمق في معاينة الدم وتحسسه ، في تحسس رائحة احتراق الجلد ، في رؤية أحد الأطراف
وقد تهشمت ورافقها انبعاث رائحة نتيجة التفسخ. إننا نتكلم عن سلسلة لاحصر لها من
المشاهد التي مرت أمام مرأى الأطفال السوريين عموماً وفي حمص خصوصاً ، وهذا
يتطلب منا جميعاً عملاً جماعياً تخصصياً يقوم بموجبه كل فرد بفرد الفريق التطوعي بمالديه
من خبره في هذه المجال وتبادل الآراء حول أسلوب العلاج وإغناء الأفكار ليُصار بنا في
النهاية لوضع تصور شامل للعلاج الأمثل بفترة زمينة أقصر .

”مراشات الشبكة“ عله الفاييس بوك

<http://www.facebook.com/Arabpsynet>

*** **

ارتباطات الاصدارات السابقة

ملف المجلة العربية للعلوم النفسية

المطد السادس - العدد 24 - خريف 2009

غزة التداعيات السيكولوجية للحرب و الحصار

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ24Topic.pdf

إشراف: عبد العزيز موسى ثابت

abdelazizth@yahoo.com - abdelazizt@hotmail.com

*** **

مطير الأفعال المدومين من جرائم العنف: ماذا بعد التكفل النفسي؟

www.arabpsynet.com/Documents/TraumaSadouniGhediriMessaouda.pdf

د. سعدون غديرة مسعود

zohra_boukhaf@yahoo.com

*** **

ملف المجلة العربية للعلوم النفسية

المطد الرابع - العدد 13 - شتاء 2007

" إضطرابات الشدة التالية للصدمة من منظور عربي" (الجزء الثاني)

ارتباط كامل الملف - مستند اكروبات

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ13Topic.pdf

ارتباط كامل الملف - مستند مضغوط

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ13Topic.exe

*** **

ملف المجلة العربية للعلوم النفسية

المطد الثالث - العدد 12 - خريف 2006

" إضطرابات الشدة التالية للصدمة من منظور عربي" (الجزء الأول)

مستند اكروبات

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ12Topic.pdf

مستند مضغوط

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ12Topic.exe

*** **

التعامل مع الأفعال وقت الأزمات

www.arabpsynet.com/Documents/TraumaMobayedPsySuppChild.pdf

الدكتور مأمون مبيض

Mobayed@hotmail.com